

معارج الروح

هنا ترتفع الكلمات كما ترتفع الأرواح في مناجاة
صامتة، تبحث عن المعنى في عمق الإيمان، وتتشبّث
بخيوط النور وسط عتمة الحياة. هي صفحات تلامس
السماء وتعيد للقلب طمأنينته.



اللهم اجعلنا من حفظة كتابك الكريم!

سُبْحَانَ اللَّهِ يَا إِخْوَةَ، كم نتحسّر على أنفسنا حين نسمع أن فلانًا أو فلانة من إخواننا أو أخواتنا قد حفظ القرآن الكريم، بينما نحن ما زلنا على حالنا لا نحفظ إلا بضعة آياتٍ أو سُورٍ قليلة، لا نرجو منها إلا أن تُعيننا على إقامة صلاتنا.

سُبْحَانَ اللَّهِ، كم يُشعّرنا ذلك بالنقص والتقصير في جنب الله! كم يجعلنا ندرك أننا أشقياء في هذه الدنيا، ما دمنا نُسارع إلى حفظ المناهج الدراسية والتكالب على المواد العلمية والأدبية، ثم يكون آخر ما يُهمّنا حفظ كتاب الله. نحفظ الشعر والنكات! نحفظ أسماء الممثلين والممثلات، اللاعبين واللاعبات، مقدّمي البرامج والمقدّمات! بل أحيانًا نحفظ تفاصيل صغيرة عن بعضنا بعضًا، ولا نجد في صدورنا مكانًا لحفظ كلام الله.

ومع ذلك، سبحان الله، ذاكرتنا أقوى مما نتخيّل؛ نخزن فيها آلاف المعلومات المتنوّعة من شتى المجالات، فإذا وصلنا إلى القرآن وجدنا أنفسنا عاجزين!

سأقف هنا يا إِخْوَةَ. أقول هذا الكلام انطلاقًا من موقف مؤلم حصل معي قبل عدّة شهور. كنت أداعب صديقي حول قصيدة الأصمعي المشهورة :
صوت صفير البلبل هيّج قلبي الثمل... فحاول حفظها فعجز رغم إصراره
ورغبته الشديدة، بينما تمكّنت أنا من حفظها في أقل من نصف ساعة.

ثم ألقيتها عليه، فُبِهُت وتَعَجَّب!

ولم أكتفِ بذلك، بل أخذت أستقرّه ساخرًا من محاولاته الفاشلة، فغضب وقال لي "حسستني أنك حافظت القرآن يا خوي!"

ياه... عبارة زلزلتني! شعرت أن الأرض خسفت بي. سألت نفسي: أفخر بحفظ الشعر ولا أفخر بحفظ القرآن؟ سبحان الله! ومنذ ذلك اليوم بدأت أختبر نفسي في الحفظ، فإذا بالأمر أيسر مما ظننت! فقد وقّعتي الله أن أحفظ سورة البقرة كاملة وسبعين آية من آل عمران في ٣٩ يومًا فقط.

نعم، واجهت صعوبات في البداية لعدم إتقاني أحكام التلاوة، وذلك بسبب تساهلي في تعلّمها سابقًا ككثير من شباب المسلمين في هذه الأيام، حتى يسّر الله لي دورة تعليمية رائعة ففهمتها.

وما أريد قوله في الختام: دعونا يا إخوة وأخوات أن نغتني فرصة حفظ القرآن الكريم. فقد يكون أيّ منكم قادرًا – بفضل الله وكرمه – أن يحفظ الكتاب العزيز خلال عام واحد. جرّبت أن أضع لنفسني برنامجًا بسيطًا: صفحة واحدة يوميًا، أي جزء كل عشرة أيام، أي ختم القرآن كاملاً خلال عشرة أشهر فقط!

لكن النفس والهوى والشيطان كانوا أعداء لي، فلم أنجح في تنفيذ المخطّط كاملاً، ومع ذلك رزقني الله الكثير من الخير من خلال تلك المحاولة، التي أرجو أن يستفيد منها كل قارئ لهذا المقال.

فلربما نكتشف – سبحان الله – ما في داخلنا من طاقات عظيمة لا يعلم حدودها إلا الله؛ طاقات في الحفظ أو التدبّر أو التفسير، وصولاً إلى حُسن التلاوة وجمال الصوت وعذوبة الاستماع إلى كتاب الله. وها قد أقبل شهر الخير والبركات، شهر رمضان المبارك، نسأل الله أن يُبلّغنا إيّاه جميعاً ونحن على طاعته ثابتون، ومن أهل القرآن الحافظين.

غَزَّة – ٢٠١٦